



يوم عاشوراء

خطب الجمعة

2017-09-29

عمان

مسجد الناصر صلاح الدين

الحمد لله نحمده، وتستعين به ونستهديه ونسترضده، ويعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّ فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيد الخلق و البشر ما اتصلت عينٌ ينظر أو سمعت أذنٌ يخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

صيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليوم عاشوراء:

وبعد فيا أيُّها الإخوة الكرام، لَمَّا وَصَلَ النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يومٌ صالح، يومٌ نجَّى الله فيه بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال صلى الله عليه وسلم: فأنا أحقُّ بموسى منكم، فصامه صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه.

{ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ لَهُمْ : مَا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي تَصُومُونَهُ قَالُوا : هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِصَوْمِهِ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

يوم عاشوراء أيُّها الإخوة، وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، يُدَكِّرُنَا بالصراع القديم المُستمر بين الحقِّ والباطل، الحقِّ الذي يُؤيده الله تعالى في عليائه، والباطل الذي رُبِمَا تَكَالَبَتْ عَلَيْهِ أُمَّمُ الْأَرْضِ، ولكن يبقى الحقُّ حَقًّا ويبقى الباطل باطلاً، أكثر القصص أيُّها الإخوة وروداً في كتاب الله تعالى هي قصة موسى عليه السلام مع قومه، أو قصة موسى عموماً، لأنَّها كما قال المُفسِّرون من أعجب القصص، وفيها من العبر ما فيها، وفيها ما ينبغي للمسلمين اليوم أن يَعُوًّا جيداً دروسها وَعَيْتَرَهَا.

قصة سيدنا موسى عليه السلام تُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا رَادَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ:

أيُّها الإخوة الكرام، فرعون طاغية عصره، ولكل عصرٍ فرعون، فرعون حُدِّرَ من موسى عليه السلام، وحَدَّرَ قومه منه، فسَخَّرَهُ الله تعالى لِرَبِّهِ فِي قَصْرِهِ، وَعَلَى فِرَاشِهِ، وَعَلَى مَائِدَتِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَفَتِ عَلَيْهِ قَالَتْ فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)

(سورة القصص)

في هذه الآية أُنْهَى الإخوة أمران: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ)، والأمر الثاني: (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)، وفيها تَهْيَان: (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي)، وفيها بشارتين: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

قِيَادًا جَفَّتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) الله أكبر!

أُمُّ يُوحَى إِلَيْهَا اللهُ تَعَالَى إِنَّ كُنْتِ خَائِفَةً عَلَى مَوْلُودِكَ مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ فَأَلْقِيهِ فِي النَّهْرِ، تَخَافُ عَلَيْهِ فُتَلْقَى بِهِ فِي التَّابُوتِ وَتَدْعُهُ لِأَمْوَاجِ الْيَمِّ، كَيْفَ ذَلِكَ؟! حَصَلَ ذَلِكَ أَتَيْهَا الْإِخْوَةُ لِأَنَّ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ لَمْ تَكُنْ عَشْوَابِيَّةً أَبَدًا، لَيْسَ فِي الْكُونِ مُضَادَّةٌ، لَيْسَ فِي الْكُونِ مُضَادَّةٌ، الْكُونُ يَجْرِي بِتَقْدِيرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى أَمْوَاجَ الْبَحْرِ، وَأَمْوَاجَ النَّهْرِ الَّتِي تَنْظُرُ إِلَيْهَا فَتَنْظُرُ أَنَّهَا عَشْوَابِيَّةٌ هِيَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ كَانَتْ تَتَقَادَفُ التَّابُوتَ لِتَضَعَهُ أَمَامَ قَصْرِ فِرْعَوْنَ.



أنت تتحرك ضمن إرادة الله

كَانَ بِالْإِمْكَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَنْ يَحْفَظَ اللهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ كَيْدِ فِرْعَوْنَ بَعِيدًا عَنْ قَصْرِ فِرْعَوْنَ، يُسَافِرُ بِهِ أُمُّهُ وَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْ فِرْعَوْنَ، أَوْ تَحْفَظُهُ فِي بَيْتِهَا وَيَحْفَظُهُ اللهُ مِنْ جُنُودِ فِرْعَوْنَ، لَكِنَّ اللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَنَا دَرْسًا، أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ إِتْفَاقَ أَمْرٍ فَإِنَّهُ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُرَبِّيَهُ فِرْعَوْنَ فِي قَصْرِهِ لِيَقْضِيَ عَلَى مُلْكِهِ، هَذَا الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ مِنْهُ، عَلَيْكَ أَنْ تُرَبِّيَهُ فِي قَصْرِكَ، وَعَلَى فِرَاشِكَ، وَعَلَى مَائِدَتِكَ، وَتَكُونُ لَهُ كَالْوَالِدِ لِلْوَلَدِ، ثُمَّ يَقْضِي عَلَى مُلْكِكَ، لِأَنَّكَ يَا فِرْعَوْنَ مَهْمَا بَلَغْتَ مِنْ بَطْشِ وَجَبْرُوتٍ فَأَنْتَ تَتَحَرَّكُ ضَمْنَ إِرَادَةِ اللهِ، وَضَمْنَ خَطَّةِ اللهِ، وَخَطَّتِكَ كُلُّهَا إِنَّمَا هِيَ نَقْطَةٌ صَغِيرَةٌ لَا تُرَى بِالْعَيْنِ فِي بَحْرِ خَطَّةِ اللهِ تَعَالَى، فَأَنْتَ لَا تَخْرُجُ عَنْ أَمْرِ اللهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُوتَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4)

(سورة العنكبوت)

أبدًا، لا يمكن أن يسبق الله أحدًا من خلقه جلَّ جلاله.

كيف نجى الله موسى عليه السلام في عاشوراء؟

أَيْهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامِ، وَلَمَّا بَلَغَ الْكَرْبُ مَدَاهُ، وَقِصَّةُ مُوسَى مَعْرُوفَةٌ فَصُولُهَا عِنْدَكُمْ، لَمَّا بَلَغَ الْكَرْبُ مَدَاهُ وَوَصَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى طَرِيقِ مَسْدُودٍ، فَمِنْ أَمَامِهِ الْمَاءُ وَمِنْ خَلْفِهِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودُهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُوكَ (61)

(سورة الشعراء)

انتهت المعركة.

قال (كلا) أداه ردي وزجر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه ثقة المؤمن بنصر الله تعالى، وصل إلى طريق لا يمكن أن يتابع، وخلفه عدو يتربص به، وحنود لا يعلم عيدها إلا الله، فأين المفر؟ وكيف النجاة؟ زيمًا في احتمالات الحروب احتمال النجاة أصبح صفرًا والمعركة قد انتهت، لكن عند الله تعالى (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) وهذاه ربه، فضرِب البحر بعصاه فأصبح طريقاً يبساً، هذا الذي حصل في العاشر من مُحَرَّم من هذا الشهر الكريم، نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون وبطنشه.

القلوب بيد الله يُقلبها كيف يشاء:



القلوب بيد الله وحده

أبها الإخوة الكرام، إن نور الله مهما حاول المجرمون طمس معالمه، فإنه سُبْضِيء على البشرية كلها، إن الطغاة وإن أُنثروا في عيون الدهماء يوماً، واستمالوهم بالعطايا والمَنَح فإن القلوب بيد الله وحده، يُصرفها كيف يشاء، هؤلاء السَّحَرَةُ الَّذِينَ جَاؤُوا لِمَحَارَبَةِ مُوسَى، دقائق فقط والقلوب بيد الله وحده، يُقلبها كيف يشاء، ما هي إلا دقائق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالِقِي السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48)

الخُرَفَات في بيت فرعون، في داخل بيته، آسية زوجة فرعون كانت مؤمنةً، وضرب الله بها مثلاً إذ قالت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)

لم تخلُ الساحة من المؤمنين الصادقين، رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتمُ إيمانه قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28)

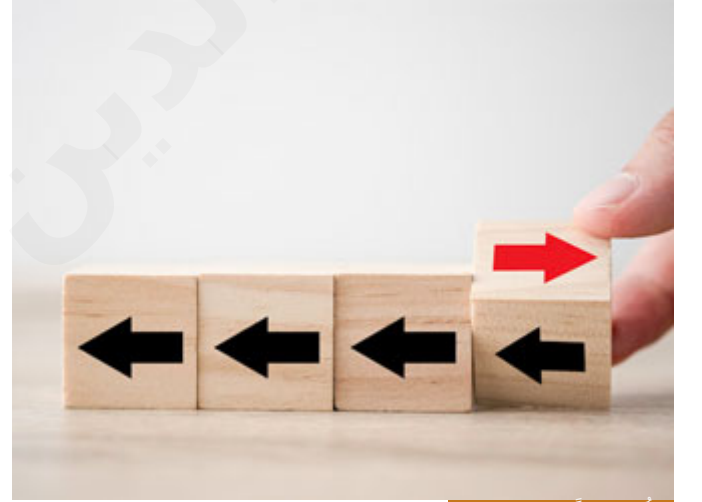
لا ينبغي أئها الإخوة أن يتقرد الباطل بالساحة مهما عظم أمر الباطل، فلا بُدَّ أن يبقى للحق مساحاتٌ مُضيئةٌ فإياكم أن تياسوا، إياكم أن تُهزموا من الداخل، لا بُدَّ أن يبقى الحقُ مستمراً.
فرعون ومن هو فرعون زوجته مؤمنة! ورجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون جاء ينشر الحق، وسخرته تحولوا في دقيقتي إلى مؤمنين برَّبِّ موسى وهارون!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُمُ
الْمُسْرِيفِينَ (83)

(سورة يونس)

ولكن كان هناك مؤمنون، لا ينبغي أن يتقرد الباطل بالساحة.

العاقبة للمتقين:



الطُغاة دائماً يقبلون الحقائق،
أئها الإخوة الكرام، ومما يُستفاد من هذا اليوم العظيم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من بطش فرعون وملأه، أن الطُغاة دائماً يقبلون الحقائق، ويتهمون الأبرياء الصادقين، ماذا قال فرعون عن قوم موسى؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54)

(سورة الشعراء)

لم يكتف بذلك بوصفهم بالشرذمة، وبأنهم خارجون عن القانون وبأنهم قلة لا يعبا بهم أحد، بل زاد ذلك سوءاً، وتصوروا الآن ماذا قال فرعون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَدَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ
وَإِنَّا قَوْقُهُمْ قَاهِرُونَ (127)

(سورة الأعراف)

الله أكبر! فرعون أكبر مُفسِد في الأرض، الذي قال أنا ربكم الأعلى، الذي كان يُقتل أبناءهم ويستحي نساءهم، الذي جعلهم شيعاً، ولعب بورقه الفتنة الطائفية، فرعون يقول له الملائ من قومه: (أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)، هو أعظم مُفسِد وبئهم المُصلِحين بالمُفسدين، لذلك أُبها الإخوة ليس كل من ادعى العدالة والنزاهة مُحَقّاً وصادقاً، وليس كل من زُمي بالتطزف والفساد مُبتلاً، أبداً.

الصراع مهما امتد أجله، واستحكمت حلقاته فالعاقبة للمتقين، بشرط الصبر مع المُصابرة، مع الاستعانة بالله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)

(سورة الأعراف)

العاقبة لك أيها المُتقي، مهما طال الأمد، هذا الكلام ليس للتخدير أبداً، هذا الكلام ليس للبيع والشراء ليس مُجاملات، هذا قرآن يُتلى إلى يوم القيامة، هذه قصص واقعية يُؤيدها وحي السماء (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) مهما طال الأمد، مهما استمر، العاقبة لِلْمُتَّقِينَ، (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا) أيضاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِيَّاكُمْ فَعَلِيَ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84)

(سورة يونس)

لا بُدَّ أن يكون مع الصبر صلوة بالله تعالى:

مع التوكل على الله، مع الاستعانة به، مع الصبر.
الصبر أيها الإخوة في القرآن الكريم غالباً ما يكون مقروناً بشيء آخر، كي لا يكون صبر العجز والخور والاستكانة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)

(سورة آل عمران)

(اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)

(سورة البقرة)



لا بُدَّ مع الصبر دائماً من صلة بالله

لا بُدَّ مع الصبر دائماً من صلة بالله، لأنَّ الصبر من غير صلة بالله قهر، والصبر مع القهر بعده القبر، لكن الصبر مع التقوى والاستعانة بالله والتوكل على الله بعده النصر، ولو كان نصرًا مبدئيًا تلقى الله عز وجل فتقول يا ربِّ، أنا بريءٌ من كل دم أريق، أنا بريءٌ من كل معصية، أنا بريءٌ من تأييد الطغيان والظلم والعدوان، يكفيك ذلك ليكون بعد صبرك وتقواك، نصرٌ من الله عز وجل وكفى به من نصر.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطانا لغيرنا وسيخطى غيرنا إلينا فلنأخذ جذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان، استغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيد، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ للدهوات.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنَّه لا يذلُّ من واليت ولا يُعزُّ من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، قلِّك الحمد على ما قضيت، ولك الشُّكر على ما أنعمت وأوليت، نستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، اللهم هبِّ لنا عملاً صالحاً يُقرِّبنا إليك، يا واصل المنقطعين صلنا برحمتك إليك.

اللهم بفضلك عُقِّنا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهَمَّنَا وأُعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُنَّة توقِّنا، نلِّقنا وأنت راضٍ عنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنَّا كنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين، وارزقنا اللهم حُسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عنا.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلي كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعزِّ المسلمين، اللهم من أراد بالإسلام ودياره وأهله خيراً فوفقه لكل خير، ومن أراد بهم غير ذلك فاشغله بنفسه يا أرحم الراحمين.

اللهم بفضلك ورحمتك انصر إخواننا المُستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، على أعدائك وأعدائهم يا ربِّ العالمين، أطعم جائعهم، واكسُ عُربانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتقبلاً يا أرحم الراحمين، اجعل هذا البلد آمناً سخيّاً رحيماً مُطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

وقِّ اللهم ملك البلاد لقا فيه خير البلاد والعباد.

أقم الصلاة وقوموا إلى صلاتكم برحمتكم اللهم.